

تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل السابع

مراحل نمو الأبناء قبل الميلاد
وأثناء مراحل الطفولة

oboiikan.com

مرحلة ما قبل الميلاد Pre-natal Period

تمتد هذه المرحلة من بداية الحمل وحتى لحظة الميلاد، ففي فترة الحمل يتكون مشروع إنسان جديد، ويكون المولود عرضة للخطر نتيجة أي خطأ تتعرض له الأم أثناء حملها به (أبو لحية، نور الدين ١٠٨: ٢٠٠٧). وعن الحمل يقول نور الدين أبو لحية « إنه بالدرجة الأولى مسألة جسد تتولد فيه روح جديدة، وينفصل منه جسد جديد وهي لذلك تتطلب الحرص على أن يسلم الجسدان من كل أنواع الأذى، وأن يكونا في منأى من الأخطار والأضرار الخارجية التي قد تسبب بإنهاء حالة الحمل بفجعية إذا ما حدثت صدمة مباشرة كالوقوع والصدام، أو بوضع غير مكتمل النمو في حالة إهمال الناحية الغذائية» (١٠٩: ٢٠٠٧).

ويشير علماء الصحة النفسية إلى أهمية تناول الحامل لغذاء كامل العناصر لكي ينمو جنينها نموا طبيعيا، وخاصة أن الأم هي المصدر الوحيد الذي يستمد منها تغذيته، كما تساعد عمليات التغذية على بناء أنسجة الجنين وتوليد الطاقة اللازمة للمحافظة على حياته، كما أنهم يؤكدون على أهمية الراحة النفسية للمرأة الحامل، ويرون أنها لا تقل أهمية عن الراحة البدنية وذلك لما للتوتر والانفعال من تأثيرات سلبية على الجنين (أبو لحية، نور الدين ٢٠٠٧؛ العوامة، حابس ومزاهرة، أيمن ٢٠٠٣).

ومن هنا يتوجب على الحامل ومن يعيش معها الحرص على أن يكون جو البيت ممتلئا بالسعادة، فللحالة النفسية - فرحا كانت أو حزنا - دور كبير في إفراز أنواع من الهرمونات النافعة أو الضارة في جسم الأم، ويتأثر الجنين بهذه الهرمونات منذ الشهور الأولى إيجابا أو سلبا طبقا لطبيعة الهرمون (أبو لحية، نور الدين ١١٦: ٢٠٠٧؛ زيعور، علي وسليم، مريم ٢٣٢-٢٢٩: ٢٠٠٤).

التطور النفسي والحركي - مرحلة ما قبل الميلاد

يقضي الجنين عادة تسعة أشهر في بطن أمه، ويجب ألا يساورنا الظن أن الجنين في فترة الحمل يكون في منأى عما يدور خارج الإطار الذي يحتويه، أو أنه

يكون في حالة الغيب والأرواح وفي حالة نسيان للذات، بعيدا عن الضغوطات النفسية والأوجاع الجسدية مفتقرا لعالم الحياة الفكرية ودنيا الحس والإدراك، فهو ومنذ ظهور اليوم الثامن عشر من الحمل تتشكل لديه أولى خطوط الدماغ والجهاز العصبي، وفي الشهر الرابع من الحمل تبدأ الأذن الداخلية بوظيفتها، بينما تبدأ حركة الجنين والأطراف منذ الأسبوع الثامن بالرغم من عدم إحساس الأم بها حتى الأسبوع السادس عشر، وذلك نظرا لسماكة «الغشاء السائي». كذلك يشعر الجنين بالقلق والانزعاج من الحركات القوية والمفاجئة للأم (فاعور، عبد الحسن ١٩٦: ٢٠٠١).

وهناك أيضا بعض المحاذير التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار، فعندما تتعرض المرأة الحامل للإصابة بالحصبة الألمانية أو تتناول الأدوية دون استشارة الطبيب أثناء الحمل وكذلك أخذها الإسبرين والكحول والمواد التخديرية، بالإضافة لسوء التغذية عند الأم الحامل ونقص الفيتامينات أو الإفراط أو الزيادة في بعض المواد الغذائية، فهذا كله يؤثر في صحة الجنين وتكوينه العضوي والنفسي، كما يوصي الأطباء بتجنب الأم الحامل صحبة الحيوانات مثل القطط والكلاب، فالقطعة أو الكلب المصاب بمرض «التكسوبلازما» قد يؤدي إلى نقل الطفيلي من الحيوان إلى الأم الحامل في الشهور الأولى من الحمل، فتتجم عنه تشوهات مثل كف البصر (العمى)، أو تضخم الطحال، أو صغر أو كبر حجم الرأس (السيبي، عدنان ١-٤٣: ١٩٩٧).

ومن النصائح المفيدة التي ينقلها عدنان السيبي عن الدكتور تاهيس للأم الحامل للتواصل مع جنينها، أن تستلقي مسترخية تماما حتى تشعر بالراحة الكاملة لعضلات بطنها، وعندما يصبح بطنها في ليونة تامة تضع يديها حوله بشكل محكم وكامل وتبقى على هذا الوضع إلى أن تشعر بضغط خفيف، ثم تضغط بأصبعها قليلا، ثم تخفف الضغط ... في هذه الأثناء سيبدأ الطفل حركته مستجيبا

لهذه التسلية، يمكن البدء بذلك بين الشهر الثالث والرابع من الحمل.

ويستحسن أن تقوم الأم بهذه المداعبة يوميا وفي نفس الوقت ولكن تكتفي في البداية بالاستجابة منه بالحركة مرة أو مرتين، ومن الأفضل أن تقوم بهذا التمرين في آخر النهار، وتساعد هذه العملية على توطيد الصحبة بين الأم وجنينها، ولكن من الضروري عدم الإفراط أو المبالغة في ذلك، عليك أن تعلمي أنه يمكنك ملاحظة متى يروق للجنين هذا التمرين ومتى يرفضه، ويدل الرفس بقوة على عدم رغبة الجنين في الاستمرار، ولكن بمرور الأيام سوف يعلن مطالباته بعودة التسلية بحركات عذبة خفيفة والتي سيمكنك بمرور الوقت التمييز بين رغبة الجنين فيها أو النفور منها (السبيعي، عدنان ٨١: ١٩٩٧ - ١).

مرحلة المهد Babyhood Period

وتمتد منذ الميلاد وحتى سن العامين، وتتضمن مرحلتين فرعيتين، هما^(١):

- مرحلة الوليد New born Period

وتمتد لمدة أسبوعين بعد الولادة، وهذه فترة حرجة في حياة الطفل، فبولادته ينتقل الطفل إلى بيئة مختلفة تماما عما اعتاد عليها في مرحلة الحمل، حيث كان حصوله على كل الاحتياجات اللازمة للاستمرار شبه ميسرة، أما في مرحلة ما بعد الولادة فيحتاج الطفل - سواء بواسطة الإمكانات والاستعدادات الفطرية أو عن طريق رعاية والديه والمحيطين به - إلى تحقيق عمليتي التكيف والتوافق، فبمجرد

(١) يجب الوضع في الاعتبار أنه نظرا لتعدد العوامل المؤثرة في عملية النمو، تحدث فروقات فردية في الخصائص المميزة لكل مرحلة تختلف من فرد لآخر، وما ستحدث عنه من تلك الخصائص لا يتعدى كونه صفة عامة قد تظهر بوضوح عند فرد وتغيب عند فرد آخر طبقا لتلك المؤثرات، كما أن بعض الخصائص متداخلة وبعضها يمكن أن يدرج في أكثر من فئة بسبب التفاعل بين جوانب الشخصية (انظر: سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٣٢: ٢٠٠٤).

خروج الطفل من بطن أمه يبدأ تكيفه مع حرارة الجو المتقلب بعد أن كان يتعرض في بطن أمه إلى درجة حرارة ثابتة، وكذلك يبدأ تعود على التيارات الهوائية وتقلبات الطقس، وكذلك الحال في تكيفه مع تغيرات عمليتي التنفس والإخراج (الدسوقي، مجدي محمد ٩٤ - ٩٣: ٢٠٠٣؛ أبو لحية، نور الدين ١٢٢: ٢٠٠٧).

ويولد الطفل وهو مزود بمجموعة من الاستعدادات الحسية والعصبية فيساعده ذلك على استمرار بقائه، فمنذ الساعات الأولى من حياته تصدر عنه أنواع من السلوك التلقائي، مثل مص ثدي الأم أو أي شيء مماثل إذا ما وضع قريبا من فمه، وهو في هذه الفترة يكون غير مستقر، يقوم بحركات عشوائية ولا يقدر على ضبط عضلات يديه ورجليه، وفي هذه الفترة من حياته لا توجد فواصل بين الوظائف النفسية والوظائف الفسيولوجية: الأكل والنوم والإخراج، وتعتبر الأسابيع الأولى مكملية لفترة ما قبل الميلاد (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٣٣: ٢٠٠٤).

إلا أن حامد زهران يرى أنه بالرغم من أن الطفل في هذه المرحلة تصعب ملاحظة انفعالاته، غير أنه يولد وهو مزود بانفعالات الحب والخوف والغضب (١٤١: ١٩٩٩). وهذا ما يؤكد أنه أيضا سيجموند فرويد حيث يرى أهمية الخبرات الانفعالية للوليد وخطورة عجزه عن أن ينال حاجته إلى الحب، كما يرى أن حالة الطفل الانفعالية تتأثر بحالة الأم النفسية، مما يجعل توفير الجو المشبع بالحب أمرا ضروريا في تنشئة الطفل (نفس المرجع ونفس الصفحة).

كما تذهب المدرسة الفرويدية إلى أن الطفل يولد وهو مزود بالطاقة الجنسية إلا أنها تكون كامنة، وترى هذه المدرسة أن اللذة الجنسية (الشعور العام باللذة والدفع والراحة الجسمية) مهمة بالنسبة للطفل، وتكون مركزة في الفم حيث يقوم بمص ثدي أمه أو أصبعه أو ملابسه (نفس المرجع ونفس الصفحة).

– مرحلة الرضاعة Infancy

وتمتد من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية العام الثاني، وغالبا ما يعتمد المولود الجديد في تغذيته على حليب الأم، ويفضله علماء النفس على حليب الزجاجة أو غيرها، فعن طريق الرضاعة الطبيعية تتكون رابطة لا تنفصم بين الطفل وأمه، فيتعرف الطفل بسرعة على خواص أمه فيشم رائحة جسمها، ويحس بحرارته كما يتعرف على سلوكها، وقد لوحظ أن الأطفال حديثي الولادة الذين تحتضنهم أمهاتهم إلى صدورهن يقل بكاءؤهم، كما أنهم يكونون أسرع تكيفا وأهدأ مزاجا ويصبحون أقل عرضة للإصابة بالأمراض من الأطفال الذين يقعون بعيدين عن أمهاتهم (أبو لحية، نور الدين ١٦٠: ٢٠٠٧).

وتتميز مرحلة المهد بسرعة نمو أعضاء الحس عند الطفل مع تفاوت النمو فيما بينها، فمنذ لحظة ولادته تكون حواس الوليد الخمس جاهزة للممارسة والتعلم، فيستطيع الشم والتذوق فكلا الحاستين مرتبطتان معا، وكذا الرؤية والسمع وإصدار الصوت، والبكاء هو الصوت الوحيد الذي يصدره الطفل منذ ولادته، وأصوات البكاء متنوعة وتمثل حالات مختلفة من الانفعالات، من حيث الطبقة والإيقاع والنغمة واستمرار الصوت، فمثلا بكاء الألم عند الوليد يختلف عن بكاء الجوع من حيث الإيقاع والحدة، وكلاهما يختلفان عن بكاء الخوف وهكذا (عياد، مواهب ٣٨ - ٣٣: ٢٠٠١).

وتعتبر الخمس سنوات الأولى في حياة الطفل من أهم مراحل الطفولة، ففيها يتحدد أساس نمو الشخصية مستقبلا، فعندما تكون عوامل النمو سليمة ينعكس ذلك على سلامة نمو الشخصية، وبالعكس إذا تعرضت هذه العوامل إلى الشوائب أدى ذلك إلى خلل في الشخصية وعدم توافقها (الدسوقي، مجدي ٩٤: ٢٠٠٣).

ويرى حامد زهران أن مرحلة الرضاعة تعتبر أهم مراحل الطفولة، وهي مرحلة

أساسية في نمو الشخصية مستقبلا، هذا ما يؤكدّه أيضا [هادفيلد (١٩٦٢) Hadfield] حيث يقول: «إن هذه المرحلة والمرحلة التي تليها يوضع فيها أساس الشخصية، فإذا كانت عوامل النمو سليمة ومواتية كان نمو الشخصية سويا، وإذا كانت عوامل النمو ذات تأثير ضار كان نمو الشخصية مضطربا غير متوافق» (١٩٩٩:١٥٠).

ويختلف الأطفال فيما بينهم من حيث النشاط والحركة والبكاء، كما يختلفون في شهيتهم للرضاعة وكذلك في حجمهم وأوزانهم وأنواع المثيرات التي تثيرهم وأمزجتهم وتيقظهم أو تبلددهم، ويساهم النضج لديهم في نمو شخصيتهم، وفي الكشف عن حقيقة ما يتمتعون به من قدرات ومهارات ومواهب ومميزات مزاجية، بينما يساهم التعلم في تكوين اتجاهاتهم أهدافهم فيما بعد (الحفني، عبد المنعم ٢٠٠٣: ٤٨٤).

الخصائص الجسمية والفيولوجية لطفل مرحلة الرضاعة

تتميز هذه المرحلة العمرية من حياة الطفل بنمو سريع في الجسم مع تآزر حسي حركي ملحوظ كالسيطرة على حركات الجلوس والحبو والمشي (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣: ٩٤). ويستمر النمو خلال الأشهر الستة الأولى من حياة الطفل بنفس معدل النمو في فترة ما قبل الولادة، ثم يأخذ في التباطؤ تدريجيا، وفي العام الأول تكون الزيادة في الوزن أكبر من الزيادة في الطول، أما في العام الثاني فيحدث العكس، وبالنسبة لنمو العظام يتميز بسرعة النمو خلال العام الأول من عمر الطفل ويأخذ في التباطؤ نسبيا خلال العام الثاني، كما يزداد عدد عظام الجسم في نفس الوقت، حيث تحل الأنسجة العظمية محل الأنسجة الغضروفية، أما عظام الجمجمة فلا ترتبط تماما ببعضها، كما أن اليافوخ، وهي المنطقة الرخوة في قمة الرأس، تلتحم عظامه في العام الأول، ليصبح أكثر صلابة (الزعبى، أحمد محمد ٢٠٠٧: ٩٨).

وتبدأ القواطع الوسطى التحتانية للأسنان في الظهور من الشهر الخامس إلى الشهر السابع تقريبا، والقواطع الوسطى العليا من الشهر السادس إلى الشهر الثامن، ثم يتوالى ظهور بقية الأسنان حتى بلوغ الثلاثين شهرا تقريبا (فاعور، عبد المحسن ٢٠١: ٢٠١). وتنمو العضلات بمعدلات مختلفة في هذه الفترة، وعموما فإن العضلات القريبة من الرقبة والرأس تنمو قبل تلك التي تتصل بالأطراف السفلى. وفي السنة الأولى من الطبيعي أن ينمو السلوك الحركي من جلوس وزحف وحبو ومشى، وفي السنة الثانية يستطيع الطفل أن يمشي بدون مساعدة (صادق، آمال؛ وأبو حطب فؤاد ٢٠٧: ٢٠٨).

وطبقا لنظرية فرويد فإن العام الأول من حياة الطفل يشكل المرحلة الأولى بالنسبة لهذه النظرية والتي فيها يعتبر الفم بمثابة المنطقة الرئيسية للنشاط الديناميكي، ويكون المصدر الرئيسي للذة أكل الطعام الذي يتم من خلاله ملازمة الشفتين والتجويف الفمي، كما تتضمن عمليتي الابتلاع إذا كان الطعام مستساغا أو رفضه إذا كان مكروها، لذلك تعرف هذه المرحلة بالمرحلة الفمية Oral Stage (عثمان، إبراهيم، ٣٩: ٢٠٠٦).

الخصائص العقلية لطفل مرحلة الرضاعة

تعتبر هذه الفترة من عمر الطفل بداية بزوغ مظاهر النمو العقلي كالذكر والتعلم والفهم، ومن خلال النمو المطرد للحواس يتعرف الطفل على الأشياء المحيطة به، ويقول بياجيه (Piaget 1970) «إن الذكاء في هذه المرحلة يكون حسيا حركيا، ويلاحظ سرعة نمو الذكاء في هذه المرحلة» (زهران، حامد ١٦٦: ١٩٩٩).

يرى بياجيه أن معظم نشاطات الطفل في السنة الأولى من عمره تكون من النوع الانعكاسي لكل ما يراه ويلمسه، ويؤدي ذلك تدريجيا إلى تكوين وعيه بالعالم الخارجي، ثم إدراكه لخصائص الأشياء، فسلوك الطفل في هذه المرحلة يقتصر

على الاستجابات الحسية المباشرة للخبرات العملية، وفي عامه الأول من العمر لا يستطيع الفصل في إدراكه بينه وبين العالم، فيتسم إدراكه بحاجاته الشخصية واهتماماته الذاتية (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٢٤٢).

ويذكر حامد زهران نموذجا معياريا للنمو العقلي يحدد ذكاء الطفل الرضيع والذي وضعه [أرنولد جيزيل (1954) Gesell] وهو كما يلي:

- ٤ شهور: يستطيع الطفل تتبع تحرك الضوء ببطء. يحرك ذراعيه لإزاحة ورقة صغيرة إذا ما ألقيت على وجهه أثناء استلقائه على ظهره.
- ٦ شهور: يستطيع التمييز بين الوجوه المألوفة لديه ووجوه الغرباء، كما يستطيع أن ينظر إلى أسفل إذا ما وقع من يديه شيء.
- ٩ شهور: يتعرف على صورة نفسه في المرأة، يقبض على حلقة مربوطة في خيط معلق فوق رأسه مباشرة ويشدها إلى أسفل.
- سنة واحدة: يضع مكعبا في وعاء إذا طلب منه ذلك دون أي إشارة، يمشي، يضع مكعبات فوق بعضها البعض ليكون منها برجاً بعد أن يرى إجراء هذه العملية أمامه.
- سنة ونصف: يميز بين الطبق والكوب، يشير إلى جزأين من أجزاء الجسم «العين والأنف». يبني برجاً من أربعة مكعبات.
- ستان: يرسم خطاً أفقياً بعد أن يرى أحداً قد عمله أمامه، ينفذ ثلاثة أوامر بسيطة، يبني برجاً من ثلاثة مكعبات، يكون كلمة من ثلاث كلمات، يعرف اسمه (حامد، زهران ٦٧-١٦٦: ١٩٩٩).

اللغة والإدراك لطفل مرحلة الرضاعة

يعتبر النمو اللغوي مظهرا من مظاهر النمو العقلي والاجتماعي، ويتزامن معهما، ويبدأ الطفل بفهم الكلمات والعبارات قبل أن يتمكن من نطقها بفترة طويلة، فنراه يستجيب لبعض الأوامر مثل: اقف الباب، أعطني لعبة، إلخ.. (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٢٤٢)، في بدء حياته يبدأ الوليد بالمنغاة ليصل إلى كلمات معبرة عن الأشخاص والأشياء في جمل قصيرة، ثم تأخذ الألفاظ في الزيادة وتنوع لتتخذ أشكالا لفظية موسيقية، مثل (كوكو للطير) و(هَوّ للكلب)، وتكتسب كل كلمة مضمونا اجتماعيا ونفسيا، لتصبح كلمة «ماما» ذات وظائف مختلفة طبقا للموقف الذي أمامه.

مثلا، أحيانا تصبح كلمة ماما «تعالى عندي» مصحوبة بحركة معينة، وأحيانا عندما تعني كلمة «ماما» أنا جائع، تكون مصحوبة بحركة ولهجة أخرى، وأحيانا عندما تعني «احمليني يا ماما» يمد يديه ويتلفظ طالبا أن يحمله، وتتطور لغة الطفل لتنضم الكلمات إلى بعضها وتكون شبه جملة، وهي تكون غير مكتملة ينقصها أفعال أو حروف، وهكذا حتى يصل الطفل إلى الجملة الصحيحة، وبحسب ذكاء الطفل تتسارع المراحل (السيبي، عدنان ١٩٩٧: ٩٦).

وفي هذا العمر أيضا يبدأ الطفل بالتركيز حول نفسه - الأنوية [Egocentrism] فيخلط بين ذاته وبين الأشياء الخارجية، وتبدأ معرفته بذاته عند اصطدامه بالعالم الخارجي (Syncretism)، ويكون ذلك إدراكا إجماليا وليس تفصيليا، يدركه أولا كمجموعات ثم تدريجيا تنتظم بذهنه التفاصيل. ويستخلص بياجيه عدة خصائص عند الطفل نتيجة لهذا التركيز، كالاتي:

١. اللاواقعية: لأن نظرة الطفل إلى العالم الخارجي غير واضحة، فهو يمزج بين ما يتمنى وما هو موجود بالفعل. مثلا، إذا رأى في حلمه لعبة يطالب بها

عندما يستيقظ، وقد يبكي فمعرفة عن العالم الخارجي غير حقيقية.

٢. الإحيائية (animism): يتصور الطفل أن الأشياء الجامدة لها حياة وأنها تحس وتتألم. فيضرب الولد الحصان الخشبي، وتكلم البنت لعبتها وتطعمها فهي تقلد أمها عندما تعاملها.

٣. الاصطناعية (Artificialism): يعتبر الطفل كل ما حوله من أشياء وكأنها صنعها الإنسان من أجله، وأن كلا منها له وظيفة: الشمس خلقت للتدفئة، والمطر ليسقي الأرض والأرض لنمشي عليها، ويعتقد أن لوالديه قوة خارقة وبأنهما من صنع كل هذه الأشياء من أجله (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٦-٢٤٣:٢٠٠٤).

ويمكن القول بأن الطفل في فترة الرضاعة لكي يحرز المكتسبات اللغوية يتطلب من الأهل الاقتراب الكامل منه، ليلاحظوا تعابيرهم وألفاظهم ويتفاعلوا معها، وبقدر ما يبذل الأهل من جهد في التعامل مع الطفل والتحدث إليه، بمقدر ما يوظف اللغة كأداة محيطية ووسيلة ناجزة لاكتساب العلم والمعرفة (فاعور، عبد الحسن ١٠٨:٢٠٠١).

الخصائص الانفعالية لطفل مرحلة الرضاعة

تشكل الاستجابات الانفعالية لدى الطفل أهم مقومات شخصيته، من هنا تأتي أهمية النمو الطبيعي لأنماط الانفعال في الصحة العقلية، ويعبر النضج الانفعالي عن التكيف الصحيح للفرد، وأولى العلاقة الانفعالية هي تلك التي بين الرضيع ومن يتولى رعايته، وتشتمل الرعاية على الإشباع العاطفي ومناغاته، بالإضافة إلى تلبية احتياجاته للتغذية والأمن والراحة، والعلاقة التي تنشأ بين الرضيع ومن حوله تتدرج بمرور الوقت لتأخذ دوراً إيجابياً، تسمى «التعلق» (Attachment) (فوزي، منير ٢٠٢:١٩٨٢).

وفي الشهر الرابع من عمره يستطيع الرضيع التمييز بين الشخص المتعلق به وبين غيره من الناس، ويزداد هذا التعلق في الشهور التالية فينتهج عند الاقتراب من الشخص الذي يوليه اهتماما وينفر من الغريب، ووجود الأشخاص الذين يتعلق الطفل بهم يعطيه شعورا بالأمان يساعده على استكشاف وإدراك ما حوله من العالم، كما يساعد ذلك على توافقه النفسي في جميع مراحل حياته (نفس المرجع ٢٠٤).

ومعايير السلوك الانفعالية مكتسبة ويتأثر الفرد في أسلوبه في التعبير عن انفعالاته وضبطها بمحاكاة الآخرين وتعاليمهم وفق المعايير الاجتماعية السائدة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٤٦: ٢٠٠٤).

وتتطور انفعالات الطفل في العام الأول والثاني من عمره، ففي حوالي الشهر الثالث يمكن التمييز بين حالتين من انفعالات الطفل، تعبر إحداهما عن الضيق والأخرى عن السرور، وفي العام الأول من عمره تظهر علامة الغضب، ثم يبدأ حب الأطفال والتعلق بالكبار وهكذا، وبازدياد خبرات الطفل وممارسته للنشاطات المختلفة، وكذلك ما قد يتعرض له من أوامر ونواه خلال هذين العامين، تزداد مجالات التعبير لديه، ففي هذه المرحلة يواجه الطفل مشكلات عدة تتعلق بالطعام والأكل والنوم والتبول، وكل هذا يؤثر في شخصيته، فيتصف بصفات خاصة، كحب الانعزال والانطواء أو الميل للاعتداء والمشاكسة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٤٧: ٢٠٠٤).

لقد أوضحنا سابقا أهمية الرضاعة بالنسبة للطفل والأم معا، ورغم تلك الأهمية فإن المدة العمرية لفترة الإرضاع يستحسن ألا تطول لكي لا يصبح الطفل دائم التعلق بأمه معتمدا عليها فيؤثر ذلك سلبا على نموه الانفعالي، ومن المعلوم أن مسألة الرضاعة من حيث المدة تتفاوت من ثقافة إلى أخرى، إلا أنه من المفيد أيضا ألا تقل عن سنتين في الظروف الطبيعية. وعند الشروع في الفطام على الأم أن

تدرب الطفل عليه في الوقت المناسب، وتؤدي العلاقة السوية بين الطفل وأمه إلى اجتياز فترة الفطام بسهولة ويسر، ومن الأفضل أن تكون الأم متأنية وهادئة ومتفهمة أثناء فترة الفطام، وأن تتم العملية بالتدرج، لكي لا تحدث أي مضاعفات انفعالية عند الطفل، وربما يساعد الاستعانة وقت الفطام بالرضاعة عن طريق الزجاجاة بين الحين والآخر، بشرط أن يتم ذلك والطفل هادئ ومتجاوب، كما أن على المرضعة أن تتجنب اللجوء إلى دهن الثدي بمادة مرة لجعل الطفل ينفر من الثدي الذي طالما أحبه وكان له مصدر غذاء وحب وأمان (المصري، سلمى إبراهيم ١٦١: ٢٠١٠).

ونتيجة للتداخل بين الخاصية الاجتماعية والخاصية الانفعالية من المفيد أن نشير إلى بعض الممارسات التي تحدث في العلاقة اللاواعية بين الأم ورضيعها، كتصرفات ومشاعر تعبر عن إشارات انفعالية من الأم يستجيب لها الرضيع عضوياً، نبين أمثلة لها فيما يلي:

١ - الرفض اللاواعي للطفل:

يستجيب الطفل لتصرفات الأم التي تعبر عن رفضها اللاواعي له، بنوع من الخمول الذي يصل إلى حد الجمود وبالنوم المتواصل وأحياناً بالقيء، كما أن النمو الإدراكي والحركي والعاطفي يتوقف عند الطفل، يصاحبه ظهور حالات من القصور العضوي.

٢ - قلق الأم العميق اللاواعي:

يستجيب الطفل جسدياً للرعاية المبالغ فيها من الأم والمعبرة عن قلقها الانفعالي اللاواعي، بحركة مفرطة وطلبات متزايدة مبالغ فيها، ويعكس ذلك حالة التوتر التي تعاني منها الأم من جهة، وحاجة الطفل غير المشبعة إلى الهدوء والطمأنينة من جهة أخرى، وما يزيد من صعوبة الموقف أن العلاقة بين الطفل

والأم تدور في حلقة مفرغة: الأم القلقة بطبعها تستجيب بدورها لحالة الهياج التي تظهر عند طفلها، بالمسارعة إلى إطعامه لتهدئته، إلا أن ظهور حالات المغص أو الإسهال مثلا عند الطفل تضع الأم في مواقف عصبية من جديد تزيد من توترها وقلقها، وهكذا.

٣- تقلبات الأم المزاجية وانعكاساتها على الطفل عاطفيا

إن تأرجح هذه التقلبات بشكل دائم بمعنى أن تكون فيها معاملة الطفل متذبذبة، بين الإفراط الزائد بالاهتمام أحيانا، والسخط ومشاعر الرفض والحرمان أحيانا أخرى، تؤدي بالطفل إلى تأزم الوضع وترسيخ الشعور بعدم الأمن والاستقرار، وعند حدوث تقلب مزاجي حاد عند الأم في هذه المرحلة من حياة الطفل (مثلا: نتيجة لمرض أو بسبب انهيار عصبي أو نتيجة لأزمة زوجية) يكون الطفل عادة الضحية، فينتابه شعور عميق بنبذ أمه المفاجئ له، بعد أن كان يشعر بحبها ورعايتها، وتكون الاستجابة هنا وفق سنه وطبعه إما بالبلادة أو بالقلق والمطالبة الملحة بإشباع رغباته (نفس المرجع ص ١٦٣).

يقول الدكتور عدنان السبيعي: «إن المولود في هذه السنوات تغرس فيه شتول السلوك خيرها وشرها، وتبعا للخبرات التي يحصلها المولود سيتكون منه إنسان سوي شجاع، يفعل الخير ويحب الحياة، أو يتكون منه إنسان منحرف يميل إلى العدوان والشر ومجابهة الناس، ويتميز بمقت الآخرين وكراهيتهم» (٢٦: ١٩٩٧-٢).

الخصائص الاجتماعية لطفل مرحلة الرضاعة

إن للخبرات الاجتماعية المبكرة في حياة الطفل دورا مهما في تحديد اتجاهاته مستقبلا نحو الذات والآخرين، وبما أن حياة الرضيع تقتصر على المنزل فإن أسس السلوك الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية لديه تعتبر «صناعة منزلية»

بحته، وباعتبار الطفل كائنا اجتماعيا فإن ذلك لا يعود لكونه «مسألة فطرية»، بل إنما هو نتاج التعلم والخبرة، إن المرحلة التي تعقب الميلاد يكون الطفل فيها كائنا غير اجتماعي يغلب عليه الطابع البيولوجي وإشباع احتياجاته (صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ٢١٣: ١٩٩٨).

ثم يحدث التأثير المتبادل بين الرضيع والأم، وعندما يشعر الرضيع بالراحة والهدوء يتسم، فيثير بذلك اهتمام الأم به، وينتج بينهما بذلك تفاعل ثنائي، وفي الشهر الثاني والثالث من عمره يبدأ الطفل في الاهتمام بالناس، فيكي عندما يترك، ويبدو عليه عدم السرور عندما لا يعبرونه اهتماما، أو ينصرفون عنه في الحديث مع آخرين، كذلك يبدي استجابة مميزة تجاه أمه، مع استمرار الاستجابة للآخرين، وفي الشهر الرابع والخامس من عمره يتسم الطفل للشخص الذي يداعبه، وفي الشهر السادس والسابع يستطيع تمييز المقربين إليه عن الغرباء، ويظهر سلوك التعلق للمقربين في صور عدة، منها الابتسامة وإصدار أصوات المناغاة لهم، كذلك يستمتع الطفل بالاتصال اللمسي من أمه، وفي الشهر الثامن والتاسع يحاول الطفل تقليد الآخرين في الكلام أو الحركة، وفي نهاية السنة الثانية يستطيع الطفل التعاون مع الكبار في بعض النشاطات البسيطة، مما يجعله أكثر ميلا للسلوك الاجتماعي (الزعيبي، أحمد محمد ١٠٩: ٢٠٠٧).

ومن المهم مساعدة الطفل منذ السنة الأولى على التكيف مع أنماط الحياة الاجتماعية، وذلك بتشجيعه على اللعب مع غيره من إخوته وأقاربه وأبناء الجيران، واصطحابه إلى الأماكن العامة كالأسواق والحدائق، وفي عامه الثاني يمكن تنمية العواطف المناسبة لدى الطفل، فيتعود على العطف على الحيوان وعدم إيذائه، وإلقاء التحية على الآخرين ووداعه لهم وشكرهم عندما يقدمون له خدمة واعتذاره لهم عندما يخطئ تجاههم وهكذا (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٥٠: ٢٠٠٤).

ويرتبط التطور في هذه المرحلة بالسلوك الاجتماعي والعلاقة بالآخرين، ويرى إريكسون أن النمو النفسي والاجتماعي يبدأ مبكراً في حياة الطفل ويكون على شكل صراع بين الثقة وعدم الثقة بالعالم Trust - Mistrust ، وتقابل هذه مرحلة الرضاعة، فإذا ما أشبعت حاجات الطفل الرئيسية في هذه المرحلة، كحاجته إلى الأمن والراحة والغذاء وغيرها، أدى ذلك إلى انبثاق الثقة بالعالم والبيئة، وبالعكس إذا كانت احتياجات الطفل في هذه المرحلة تواجه بالإحباط والتهديد والحرمان تكونت لديه مشاعر مضادة تتمثل في الشك والخوف، وعدم اليقين في العالم (العيسوي، عبد الرحمن ١٧٩: ٢٠٠٥؛ سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٤٨: ٢٠٠٤).

وفي هذا الصدد يرى فرويد أن الأنا (الذات الشعورية) عبارة عن مركب اجتماعي يكتسبه الطفل من خلال البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأن الضمير (الأنا الأعلى) مركب اجتماعي آخر يكتسبه الطفل من مظاهر السلطة المتمثلة في أوامر ونواهي أسرته، وهكذا تكون السنوات الخمس الأولى في حياته هي الدعامة الأساسية التي تركز عليها حياته النفسية والاجتماعية بجميع مظاهرها (الزعبي، أحمد محمد ١٠٩: ٢٠٠٧).

ج. مرحلة الطفولة Childhood

لقد منح الله عز وجل الإنسان منذ مولده كافة الأجهزة الضرورية التي من شأنها أن تجعل من البشر مكتشفين عظاماً، فخلق لهم الأنف والفم واللسان والشفيتين والأذنين والأصابع وغيرها من أجهزة الاستشعار، وهي التي يبدأ الطفل حياته فيوظفها في إشباع فضوله وميله إلى حب الاستطلاع، فعن طريق التفكير يقوم الطفل بالفحص والعض والمضغ والشم، أو الإنصات إلى الصوت أو التمعن والنظر إلى شخص ما أو التعامل مع موقف يعترضه، كأن يشد الأشياء أو بدون قصد قد يرمي بأشياء قابلة للكسر، وبهذه الكيفية يتعرف الطفل على نفسه والعالم

المحيط به (صبحي، سيد ٢٠٠٢: ٣٠). وكل ذلك يتطور مع نموه في مراحل عمرية ووفق منظومة فيزيقية ونفسية واجتماعية، ولكي يجتاز الطفل مراحل طفولته بسلام لا بد من التعرف على خصائص النمو في كل مرحلة من مراحل نموه.

وتمتد فترة الطفولة من نهاية العام الثاني حتى الثانية عشرة، وتنقسم إلى ثلاث مراحل، هي: المبكرة والمتوسطة والمتأخرة.

الطفولة المبكرة Early Childhood

تعتبر الطفولة المبكرة من أهم سنوات العمر التي تتأثر بعملية التنشئة الاجتماعية بجميع أبعادها التعليمية والنفسية والاجتماعية، وتمتد من نهاية العام الثاني حتى نهاية سن السادسة، فبدءاً من هذه المرحلة يتحقق أكبر قدر من التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي، وفيها وبالتحديد في الخمس سنوات الأولى من عمره، ينشأ الطفل في بيئته الأسرية متأثراً بكل ما بداخلها من مثيرات متنوعة يقع عبئها الأكبر على الأبوين أولاً ثم المحيطين به، من حيث أساليب المعاملة ونوعية طرق التعلم التي تترك بصماتها على ميوله واتجاهاته وقيمه، وبالتالي تشكل شخصيته في المستقبل، وانتقاله من مرحلة الطفولة المبكرة إلى المرحلة التالية بصورة سوية أو غير سوية، مما يتطلب مراعاة خصائص ونمو الطفل من جميع الجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية (عطية، نوال ٢٠٠١: ١٦).

الخصائص الجسمية والنفسيولوجية - الطفولة المبكرة

لهذه المرحلة ميزة مهمة في حياة الفرد، ففيها يمر الطفل بتطورات وتغيرات تشمل الطول والوزن، وإن كان معدل التغير فيها أبطأ قليلاً من المرحلة السابقة لها، ويكون معدل تغير الطول أكبر من معدل الوزن، كما تنمو في هذه الفترة العضلات الكبيرة تليها العضلات الصغيرة أو الدقيقة، ويظهر ذلك في تمكن

الطفل من القفز والجري والمشي لمدة طويلة نسبياً، ولكنه لا يستطيع القيام بالحركات التي تتطلب دقة ومهارة وتآزراً عضلياً مثل الكتابة والرسم، كذلك تزداد عظام الجسم حجماً وعدداً وصلابة مع النمو، وتكتمل الأسنان المؤقتة ما بين العام الثاني والثالث (الدسوقي، مجدي ١١٠: ٢٠٠٣).

وفي هذه المرحلة يصبح الطفل قادراً على تناول الطعام، وفي نهاية هذه المرحلة أي حوالي السادسة تبدأ الأسنان المؤقتة بالسقوط لتظهر بعدها الأسنان الدائمة وتسقط بالترتيب وحسب ظهورها، ويظهر في سن السادسة واحد أو اثنان من الأسنان الدائمة، وبذلك يصبح الفك السفلي ظاهراً بشكل جيد والفك العلوي أعرض من الفك السفلي، ويصبح الوجه أكبر وتظهر تقاطيعه أوضح مع نهاية هذه المرحلة (الهنداوي، علي فالج ١٧٤: ٢٠٠٥).

وفي هذه الفترة من حياته يستطيع الطفل التدرب على عملية الإخراج، Toilet Training، وعادة ما تسبق تدريبات الإخراج تدريبات المثانة، ويرجع ذلك لسهولة الضبط والتحكم في حركات الأمعاء أكثر من استطاعة التحكم في حركات الأمعاء، وأغلب الأطفال يستطيعون التحكم في هاتين العمليتين في سن الثالثة، مع وجود فروق ترتبط بنضج عضلات التحكم الشرجي والعضلة العاصرة لجنس الطفل وكذلك الاتجاهات الوالدية، فالبنت أكثر قدرة من الأولاد على التحكم والضبط في عمليتي التبول والإخراج (الأشول، عادل ٢٧٠: ٢٠٠٨).

من الملاحظ أن أهم ما يميز النمو الحركي عند الطفل في هذه المرحلة امتلاكه لكل المهارات الأساسية وقدرته على النشاط العضلي، فيستطيع المشي والجري والرمي والركل والوثب وغيرها، وهو يقوم بكل هذه القدرات الحركية بدرجة من التوافق وبطريقة متقنة (قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٥٠: ١٩٩٦).

وتنمو العضلات الكبيرة للطفل في هذه المرحلة، تليها العضلات الصغيرة،

ولهذا السبب نجد أن الأطفال يبدون كفاءة في القيام بالحركات الكبيرة بينما يفشلون تقريبا في القيام بالحركات التي تتطلب تأزرا عضليا دقيقا، ولذلك أيضا يعود السبب لمقدرتهم على القفز والجري والمشي لمدة طويلة نسبيا، بينما لا يستطيعون القيام بتلك الحركات التي تتطلب دقة ومهارة وتأزرا عضليا مثل الكتابة أو الرسم (الدسوقي، مجدي ١١٠: ٢٠٠٣).

ويمكن أطفال هذه المرحلة أيضا أن يبدوا قدراتهم الحركية في الملعب؛ فيستطيعون الصعود والهبوط من على الكتل أو الألواح المتزحلق، كما يمكنهم اللعب بالمرجيحة، كذلك يكون باستطاعتهم رسم الخطوط والدوائر واستخدام فرشاة الرسم وقطع الأوراق وعمل بعض الأشكال أو الملصقات، كما يمكنهم التلوين بواسطة القلم والطباشير، وهم يقومون بالرسم بصورة عفوية وتلقائية (الأشول، عادل ٢٧٢: ٢٠٠٨).

وينمو الهيكل العظمي عموما في هذه المرحلة العمرية، فيكتسب العظام صفة الصلابة وتتحول الغضاريف إلى عظام وتزداد عظام الجسم حجما وعددا وصلابة مع النمو (الدسوقي، مجدي ١١١: ٢٠٠٣).

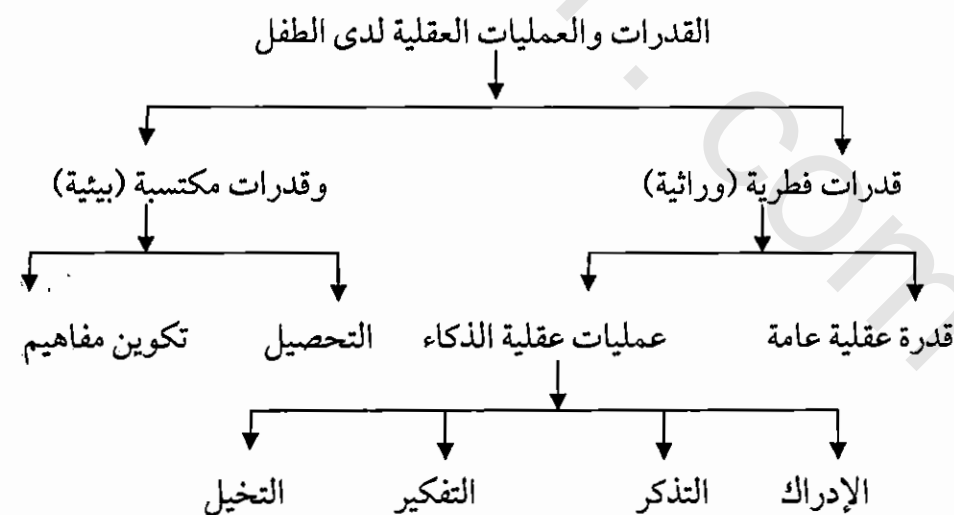
الخصائص العقلية - الطفولة المبكرة

فيما يتعلق بالنمو العقلي في هذه المرحلة فإن حواس الطفل في هذه السن تساعد على اكتساب المعرفة، فهو يجد لذة في ممارستها، ويكون شغوقا بلمس الأشياء وتذوقها والنظر إليها واكتشافها، فيتعرف على الأشكال والأحجام والمسافات، ويرى بياضه أن هذه الممارسة الحسية تعبر عن ذكاء الطفل، فهي تؤدي إلى تكوين المفاهيم في عملية التفكير ونمو الذكاء والتي يجب أن تصقل من خلال ألعاب تحتوي على ألوان مختلفة ليميز الطفل بينها، ثم اللون نفسه بدرجات مختلفة، وكذلك هو الحال بالنسبة للأحجام والأشكال واستخدام المكعبات وترتيبها بأشكال مختلفة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٥٤: ٢٠٠٤).

ويعتبر علماء النفس هذه الفترة من حياة الطفل أنها فترة «التساؤل»، حيث يقوم الطفل فيها بتوجيه الأسئلة الكثيرة عما يدور حوله وخاصة في سن الرابعة، وتعبر هذه الأسئلة عن نشاط عقل الطفل واحتياجه إلى الأمن والطمأنينة، كما أنها تساعده على أفكاره وزيادة رصيده المعرفي في المستقبل (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣: ١١١).

ويذهب الدكتور عبد المنعم حقي (٢٠٠٣-٢-) إلى أنه في البداية تكون أسئلة الطفل تعبيراً عن السعي لإشباع حاجته لحب الاستطلاع، ولكن مع الاستمرار في النمو تظهر لديه دوافع أخرى: مثلاً أن يسعى لأن يكون له علاقات مع الآخرين، أو إلى لفت الانتباه إليه أو لتحقيق الاطمئنان، كما أنه يحاول إغاضة البعض طالما أن كثرة أسئلته تضايقهم، وذلك نتيجة سخط الطفل وإحباطه وكراهيته للكبار، ولا بد من إجابة الطفل على الأسئلة التي يوجهها للكبار وعدم نهره من التكرار، وإلا أدى ذلك إلى نكوصه وحرمانه من وسيلة مهمة لتحقيق التعلم (ص ٦١).

والعمليات العقلية لدى الطفل تنقسم إلى قدرات فطرية (وراثية) وأخرى مكتسبة (بيئية)، ويوضح الشكل الآتي هذه القدرات:



وفيما يلي بعض خصائص كل من هذه القدرات:

الذكاء: ويقصد به القدرة العقلية العامة، والتي تتضمن إدراك العلاقات بين الأشياء والمقدرة على حل المشكلات والتكيف الاجتماعي، ويبدأ الذكاء بالإدراك الحسي وينتهي بالتفكير المجرد.

الإدراك: من الملاحظ في بداية هذه المرحلة العمرية (٣-٦) أنه لا يستطيع الطفل الإدراك الحسي للأشياء وعلاقتها المكانية، مثلاً لا يفرق بين اتجاه اليمين أو اليسار، ولكنه مع مرور الزمن في هذه المرحلة تتكون عنده المقدرة على معرفة أسماء الاتجاهات الأربع (يمين ويسار وأعلى وأسفل) كذلك يستطيع إدراك علاقة الأشياء بالمكان، كأن يقوم بتجميع أجزاء مختلفة لشكل ما بطريقة يجعلها مترابطة في وحدة كلية، وفي عامه الثالث يستطيع الطفل إدراك الأحجام المختلفة (صغيرة ومتوسطة كبيرة) والمقارنة بينها، ولا يستطيع الصغير في هذه المرحلة إدراك المسافات تقديراً صحيحاً مما يتطلب الحذر من سقوطه من النوافذ أو الشرفات.

وجدير بالذكر أن إدراك الطفل في هذه المرحلة للعلاقات المكانية يسبق إدراكه للعلاقات الزمنية، وإدراكه لأوجه الخلاف بين الأشياء يسبق إدراكه لأوجه التشابه بينها، وما يميز الإدراك عند الطفل في هذه الفترة عموماً تمرّكه حول ذاته، فيدرك كل شيء بالنسبة إلى نفسه ومن خلال علاقته به فقط (الدسوقي، مجدي ١١٢: ٢٠٠٣).

التذكر: وهي عملية عقلية يقوم بها الطفل في سن مبكرة من عمره، وتزداد قدرة الطفل على التذكر كلما ازداد نموه، بينما تنمو فكرة الزمن لديه نمواً بطيئاً وتستمر في الغموض حتى سن السادسة، فلا يستطيع التمييز بين «اليوم» و«أمس» و«غداً»، كما لا يستطيع التمييز بين الصباح وبعد الظهر، إلا أنه يمكن أن يساعد الطفل على

إدراك الزمن بتعيين زمن كل حدث يقع في خبرته (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٥٨: ٢٠٠٤).

التفكير: يكون تفكير الطفل في هذه المرحلة ذاتيا ومشتتا ولا يخضع لنظام معين، فهو أقرب بذلك إلى التخيل منه إلى التفكير المنطقي، ويبقى كذلك حتى سن السادسة (الدسوقي، مجدي ١١٢: ٢٠٠٣).

التخيل: في هذه المرحلة يشكل التخيل جزءا من النمو العقلي للطفل، ويغطي خياله على الحقيقة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الطفل وولعه بالدمى والعرائس وتمثيل أدوار الكبار التي يستمدّها من بيئته وتفاعله اليومي مع المحيطين به (الدسوقي، مجدي ١١٣: ٢٠٠٣). ويبقى تفكيره تخيليا حتى سن السادسة فلا يميز بين الواقع والخيال، وهنا يجب التدخل لمساعدته كي لا ينساق وراء الخيال الكلي، وذلك بسرد القصص الخيالية ولكنها مشتقة من العالم الخارجي الواقعي (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٥٦: ٢٠٠٤).

ويتمثل الوعي والإدراك الاجتماعي للطفل من خلال تمسكه ببعض القيم والمعايير الاجتماعية، وبالتالي ينمو الضمير لديه، ومع نمو هذا الضمير ينشأ الشعور والإحساس بما هو حسن أو خير، أو حلال أو حرام، فينتقد الكبار في تصرفاتهم، وعندما يكذب أحد الآباء فإننا نجد الابن لا يرضى بهذا السلوك (صباحي، سيد ٦٠: ١٩٨٦).

الخصائص الانفعالية - الطفولة المبكرة

يكون الطفل في هذه المرحلة أكثر صراحة في التعبير عن انفعالاته كما تزداد نوبات غضبه، وعلى المحيطين بالطفل أن يتحوا له أن يعبر عن مشاعره بحرية، ومحاولة التعرف على انفعالاته ومواجهتها ومناقشتها في أسبابها، مثلا يرى بعض معلمي رياض الأطفال ضرورة أن يشجع الطفل على تحليل جوانب من سلوكه

غير المقبول، فيسألونه لماذا ضرب زميله؟ ويقولوا له: يجب أن تفكر قبل أن تفعل هذا، وهل تشعر بالارتياح بضربك زميلك؟ وغيرها من الأسئلة التي يمكن أن توجهه إلى السلوك السوي (عثمان، إبراهيم ٢٠٠٦: ١٠٨).

وتقل نوبات الطفل المزاجية كلما تقدم في السن ويزداد تعبيره عنها بالألفاظ التهجمية أكثر من التعبير عنها بالمظاهر الجسمية، وعادة ما تكون انفعالاته نتيجة لاختلاف سلوكه مع المعايير التي يسلك وفقها الكبار، وعموما لا تؤدي طرق الضبط كالتهديد والضرب إلى تقليل نوبات الانفعال عند الطفل، بل تزيد انفعاله، بينما تؤدي طرق الضبط التي لا تسير رغبات الطفل كتجاهله وعزله إلى تقليل حدوث نوبات الغضب، بينما تزداد حدتها عند الأطفال الذين لا تتبع أسرهم طرقا موحدة في التعامل مع أطفالهم (عثمان، إبراهيم ٢٠٠٦: ١٠٨).

كذلك يمتاز سلوك الطفل الانفعالي بالتقلب الفجائي؛ فينتقل من البكاء إلى الضحك ومن الغضب إلى السرور، ومن الخوف إلى الطمأنينة، كما تظهر عنده مشاعر الغيرة والقلق من ضياع حب والديه ومشاركة طفل آخر في حبهما، كذلك يظهر على الطفل ميلا إلى اللعب بأعضائه التناسلية، ومن الأفضل ألا يمنع بعنف، والأفضل أن يحاول تحويل اهتمامه إلى شيء آخر، وتعويدته على ترك الفراش بمجرد استيقاظه وعدم إلباسه ثيابا ضيقة والاعتناء بنظافة أعضائه التناسلية (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٢٥٩).

كما يقول البعض بأنه يظهر في هذه الفترة تعلق الطفل بالجنس المغاير لجنسه فيتجه في البداية للأم والأب؛ لأنه يتصل بهما اتصالا مباشرا وعن طريقهما يشبع كل رغباته، وتختلف درجة تعلق الطفل بالنسبة للأم أو الأب طبقا لنوع الجنس، فيبدأ الولد في الاتجاه نحو أمه تدريجيا، بينما تبدأ البنت في الاتجاه نحو أبيها. وتؤدي هذه العلاقة التي تربط كلا من الولد والبنت بأحد الأبوين من الجنس

المغاير إلى نوع من الصراع يعرف بعقدة أوديب^(١) بالنسبة للولد وعقدة الكترا بالنسبة للبنات (محمود إبراهيم ٨٦: ١٩٨١).

ويحدث هذا الصراع نتيجة لحبه الشديد لأمه والرغبة في الاستحواذ عليها، وفي نفس الوقت غيرته من والده الذي يجده منافسا لهذا الحب ومهددا له، ولأنه غير قادر على التغلب على هذه المنافسة يكره الأب ويغذي هذه الكراهية موقف الأب له كمؤدب ومرب يأمر وينهي ويعاقب، ومن جهة أخرى يكون الأب موضع إعجاب الطفل وفخره، لأنه ينتمي إليه ويحقق له كل رغباته، ويشعر الطفل بأن والده هو الذي سيدافع عنه إذا ما تعرض للاعتداء، ومن هذا التناقض بين الحقد والإعجاب يحدث الصراع الذي يؤدي إلى عقدة أوديب، كذلك تمر البنات بنوع مشابه من الصراع يؤدي بها إلى عقدة ألكترا^(٢) (محمود، إبراهيم وجيه ٨٧: ١٩٨١).

ومن جانب آخر تظهر في هذه الفترة ملامح النمو الخلقي عند الطفل، فيتعلم المعايير الاجتماعية ويسعى للحصول على رضا والديه عنه وحبهما له، كذلك يتكون الضمير لديه أو الأنا الأعلى عن طريق التوحد مع والديه، كذلك يكتسب عنهما القيم والقواعد الأخلاقية، وبذلك تنتقل عوامل الضبط الخارجي لسلوك

(١) اقتبس فرويد هذه الكلمة من أسطورة إغريقية قديمة تدور حول ملك الإغريق «أوديب» الذي حارب والده وقتله وتزوج أمه دون أن يعرف أنها أمه، وعندما عرف حقيقة الأمر استعظم فعلته وفقاً عينه تكفيرا للذنب، ومن هنا استخدم فرويد كلمة أوديب للتدليل على الرغبة اللا شعورية الكامنة في أعماق الطفل للتخلص من والده وامتلاك والدته (محمود إبراهيم وجيه ٨٧: ١٩٨١).

(٢) تعلق الابنة بالدها والشعور بالعداء نحو والدتها. فالابنة تصب عاطفتها العشقية على الأب، ويزعم علماء التحليل النفسي أن هذه العقدة كناية عن رغبة، عن وعي أو غير وعي، تساور الابنة في إقامة علاقة جنسية مع والدها، وتسفر عن الشعور بالعداء نحو الأم لاعتبارها تنافس الابنة على قلب والدها، كما تؤدي إلى شعور بالذنب نتيجة لتضارب عواطف الوفاة (رزوق)، أسعد ١٨٢: ١٩٨٧).

الطفل إلى ضبط داخلي يحتويها ضميره (قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٩٩٦: ١٥٢).

الخصائص الاجتماعية - الطفولة المبكرة

يتميز النمو الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة باتساع دائرة معارفه، ففي العام الثالث من عمره تتجاوز هذه الدائرة نطاق الأسرة لتشمل الأقران، كما يحرص الطفل في هذا السن على أن تكون له مكانة اجتماعية، ويسعى دائما إلى لفت انتباه الآخرين من الكبار، ويهتم بمعرفة أوجه نشاطهم، كذلك يتميز الطفل بالأنانية لأنه متمركز حول ذاته، فلا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يحققون له النفع والفائدة، ثم ينمو التفاعل الاجتماعي لديه، وخلال هذا النمو يكتسب المعايير التي تبلور الدور الاجتماعي له (صبحي، سيد ١٩٨٦).

وفي الرابعة من عمره يزيد اهتمامه باللعب الجماعي بعد أن كان يقوم بذلك بمفرده، ويتزامن ذلك مع قدراته الخيالية، فيكثر من تقمص أدوار أولئك الذين يكونون مثار إعجابه في البيئة المحيطة به، فيرتدي ملابسهم وأحذيتهم ويسرد قصصا خيالية عنهم، وفي الخامسة يشارك الآخرين بعض أنواع السلوك الاجتماعي ويتعاون مع الآخرين بالاستمتاع باللعب معهم، فيتعلم بذلك الأخذ والعطاء ويكتسب الروح الرياضية، كما يتعلم الطفل من خلال اللعب تكوين العلاقات مع الغرباء، ومواجهة المشكلات التي يتعرض لها نتيجة لذلك، ويساعده ذلك أيضا على تعلم الأدوار الاجتماعية المختلفة. أما في السادسة فيفضل الطفل اللعب مع رفاقه في جماعات محددة العدد (قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٩٩٦: ١٥٢).

ومع بداية دخوله المدرسة تكون طاقات الطفل على العمل الجماعي ما زالت محدودة وغير واضحة، ويبدأ الطفل في نهاية مرحلة الطفولة المبكرة إلى مساعدة

والديه وتقديم الخدمات إلى الآخرين، ويزداد هذا التعاون بين الطفل ورفاقه في المنزل والمدرسة، ويكون اللعب جماعيا ومن خلاله يتعلم الطفل الكثير من رفاقه وتتاح له الفرص لكي يؤكد ذاته، ويحقق مكانته الاجتماعية (صباحي، سيد ١٩٨٦:٦٠).

وتتصف شخصية الطفل في هذه المرحلة بمزيج من الاستقلال والاعتماد على الغير، فعند دخوله الروضة يقابل الطفل وجوها جديدة من الأطفال والراشدين والغرباء، ويعاني نتيجة ذلك صراعا، فهو عليه أن يتخلى عما كان قد تعود عليه في أسرته من حماية ورعاية، وأن يتعود معنى المساواة والعدل مع رفاقه الذين يشعر بينهم بأنه شخص بين الآخرين، وينمو شعوره بفرديته ويميز بين ملكيته وملكية الآخرين، ويستمتع لأحاديث الكبار ويتفاعل معها (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٦٠).

وبينما طفل هذه المرحلة في سن الثانية والثالثة يقوم بنشاطات يحب أن يقوم بها مستقلا عن غيره، ويميل البعض إلى «الاستقلال الذاتي» Self-Independence، نراه في وقت آخر أي قبل دخوله المدرسة قد تعلم أشياء أخرى وممارس العديد من الخبرات، وهنا يبدأ بفقد هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة، وسيطر عليه اللعب «الإيهامي» fictional play. وفي هذه السن تحديدا تتسع ذاته وتمتد self-expansion لتشمل الأشياء من حوله، ويبدأ من جديد يتعرف على ذاته بأبعادها الجديدة الممتدة، ويقوى عنده الشعور بالهوية في السن من السادسة حتى الثانية عشرة (الحفني، عبد المنعم ٢٠٠٣:٤٨٥).

ويبدأ نمو مفهوم الملكية لدى الطفل (أنا...غيري) في الرابعة من عمره، ففي خلال السنوات الثلاث الأولى تنمو (أنا) الطفل، حيث إنه بإمكانه معرفة اسمه الذي ينادى به، كما يعرف اسم أبيه وأمه. وهو يتعرف على نفسه بصفته أحد أفراد

العائلة، يأخذ مكانه على مائدة الطعام بين أفراد أسرته، ويشعر أنه من حقه أن ينال أي شيء يأخذ منه الآخرون، لأنه لا يرى أنه يقل عنهم مكانة، وبينما كان سابقا يبادر بالبكاء والغضب والصراخ إذا ما وقف أحد ما ضد رغبته، ففي سن الرابعة من عمره أصبح يخضع لبعض المعايير السلوكية التي يفرضها عليه الكبار، فنراه مثلاً يقبل على مضض أن تخرج أمه من المنزل لأي سبب شريطة أن تطمئنه بأنها سوف تعود، وأنها سوف تحضر له معها بعض اللعب أو الحلوى، ومع ذلك فهو يقف لها على باب المنزل يردد سؤاله: ستعودين ثانية؟ ستعودين ثانية؟ ولا يسمح لها بالخروج إلا بعد أن تجيب سؤاله بنعم. فالطفل هنا قد بدأ يدرك أنه شيء ... وأن أمه شيء آخر غير منفصل عنه (الهمشري، محمد ١٩٩٧: ١٣).

وقد تنوي الأسرة تقديم هدية إلى صديق أو قريب، وقد يكون الطفل في صحبة الأسرة أثناء الزيارة، وعندما تنتهي الزيارة ويشعر الوالدان في المغادرة، قد تمتد يد الطفل إلى الهدية التي أحضرها أبوه وأمه ليحملها ويعود بها، وهو يقول لأبيه أو لأمه: « هذه لنا .. لقد أحضرناها معنا، لا نتركها » (الهمشري، محمد ١٩٩٧: ١٥). وقد يبذل الأب أو الأم جهداً كبيراً لإفهامه أن الهدية اشترت من أجل الصديق أو القريب، فتكون هذه خطوة أخرى على نمو مفهوم الأنا ... والغير لدى الطفل.

الطفولة المتوسطة Middle Childhood

تمتد هذه المرحلة من نهاية سن السادسة حتى نهاية سن التاسعة، وتشكل بداية المرحلة التعليمية الابتدائية للطفل، كما أنها بداية انتقاله من بيئته الأسرية إلى مؤسسة تربوية أخرى تساهم في عملية التطبيع الاجتماعي، أي المدرسة التي من خلالها يتفاعل الطفل مع جماعات جديدة وتتميز علاقاته بالتنوع والتعدد، فيكتسب معايير واتجاهات وقيماً جديدة، كما تتميز هذه الفترة بزيادة استقلال

الطفل عن أسرته ويكون أكثر انضباطا في انفعالاته وأكثر اعتمادا على نفسه، وتتميز هذه المرحلة أيضا بالنمو الحركي المطرد (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣: ١٢٥؛ زهران، حامد ٢٦٣-٢٣٦: ١٩٩٩).

الخصائص الجسمية والفيولوجية - الطفولة المتوسطة

يتسم النمو الجسمي في هذه المرحلة بالبطء المستمر، فتتغير ملامح الطفل العامة عن تلك التي كان عليها في طفولته المبكرة، وتوجد فروق فردية في النمو بالنسبة للنوع لهذه المرحلة النمائية، حيث يبلغ الطول بالنسبة للطفل الذكر في سن السادسة حوالي ١١٤ سم، وذلك بنسبة ٦٥٪ تقريبا من طوله النهائي، ويبلغ وزنه ٢٠ كيلو جرام تقريبا، أما بالنسبة للبنات فإن طولها في سن السادسة حوالي ١١٢ سم، أي حوالي ٦٩٪ من طولها النهائي، ويبلغ وزنها حوالي ١٨ كيلوغرام (الزعيبي، أحمد محمد ١٣٢: ٢٠٠٧).

في هذه الفترة أيضا يزداد الجذع نحافة كما يزداد عرض الصدر، كما تحدث زيادات في الطول بالنسبة للرقبة والذراعين والساقين، كذلك يزداد الجهاز العصبي تعقيدا، وتزداد الوصلات والألياف العصبية، وتستمر وظيفتان من وظائف المخ في النمو، هما تكوين نخاع الألياف العصبية والنخاع الشوكي، والأنسجة العصبية المرتبطة، وتنظيم وظائف المخ (نفس المرجع ص ١٣٣). وهذا النمو السريع جدا في الجهاز العصبي للطفل، وخاصة المخ الذي يصل نموه إلى ٩٠٪ من الكمال، له أهمية في التعلم والتعليم، حيث يؤدي بالطفل إلى اكتساب كثير من المهارات اللغوية والحركية واكتساب مهارات القراءة والكتابة والمفاهيم الضرورية للحياة (ناصر، إبراهيم ٣٢: ٢٠٠٤).

ويفقد الطفل في هذه المرحلة معظم أسنانه اللبنية (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣: ١٢٦)، لتحل محلها الأسنان النهائية، فتبلغ عدد الأسنان في نهاية سن

الثالثة عشرة إلى (٢٨) سناً، فيتغير شكل الفم، وذلك نتيجة ازدياد حجم الجزء الأسفل من الوجه، ويختل التناسب فيه، وكذلك تتسطح الجبهة ويكبر الأنف (الزعبي، أحمد محمد ١٣٢: ٢٠٠٧).

وغالباً ما يتمتع الأطفال في هذه المرحلة بالصحة العامة التي تساعد على النمو الجسمي، ويتوقف ذلك أيضاً على العوامل المادية والاقتصادية، وتؤثر التغذية من حيث النوع والكم على الصحة العامة ومن ثم النمو الجسمي، كما ينخفض معدل الوفيات ابتداءً من هذه المرحلة، غير أنه مع دخولهم المدرسة يصبح الأطفال أكثر عرضة لبعض الأمراض المعدية كالحصبة والنكاف والجذري مما يستدعي ضرورة التطعيم ضد هذه الأمراض (زهران، حامد ٢٤٩: ٢٠٠٥).

الخصائص العقلية - الطفولة المتوسطة

هذه المرحلة عند الطفل هي مرحلة نضج بعض القدرات العقلية وعملياتها الإدراكية، فالطفل في سني عمره ما بين السادسة والثامنة، يكون قد بدأ اكتساب التفكير المجرد والتصور والتذكر والانتباه المقصود المركز، كما تتميز هذه الفترة باستمرار النشاط الإدراكي، ويبدأ لديه الخيال العملي، وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بتعلم الكتابة، لأنها مرحلة تبدأ فيها أولى المراحل العلمية، فعادة ما يبدأ الأطفال الصف الأول الابتدائي في سن السادسة، وتعتبر الكتابة نشاطاً عقلياً مجرداً تقوم على تخزين رموز اصطلاحية تختلف قدرة الأفراد في تخزينها، وتساعد المدرسة أيضاً على النمو الإدراكي عند الطفل، ففيها يقوم بمجموعة من عمليات الكشف والتجريب والمقارنة والتقليد والقراءة، فيدرك بذلك موضوعات العالم الخارجي من حيث اتصال بعضها ببعض، ويدرك أيضاً الموضوعات من حيث هي كل ولا يعتني بالجزئيات (الهنداوي، علي فاضل ٢١٥: ٢٠٠٥).

وطبقا للنظرية المعرفية عند بياجيه، فإن طفل السادسة أو السابعة ينمي بعضا من «القابليات العقلية» الجديدة، أي ما تعرف بـ«العمليات المشخصة»، والتي بواسطتها يمكنه صياغة المفاهيم للأصناف والعلاقات والأعداد، فتتسع نتيجة ذلك عملية الإدراك لديه، فالعمليات المشخصة طبقا لهذه النظرية توجه الطفل ليسلك القواعد التي يقرها المجتمع، كما تساعد على إكسابه بعض المهارات والمعارف، والتي تؤدي بدورها إلى التكيف الاجتماعي، لذلك يمكن اعتبار الطفولة المتوسطة فترة جوهريّة في حياة الإنسان (بيديس، إميل خليل ١٩٩٧: ١٧٥).

وتساعد الصور البصرية التي يلاحظها طفل هذه المرحلة على التفكير في حياته اليومية، ويبدأ الاعتماد على الواقع بدون تخيلات، فيبدل مجهودا عقليا في تعلمه وخاصة في حفظ الأغاني والأناشيد، كما يكون في مقدّره أن يركز انتباهه على موضوع معين من (٤-٥) دقائق ثم يحول انتباهه عنه، وهو لا يميل إلى ما هو شفوي لفظي بل يفضل الأعمال اليدوية.

وعندما تعرض الصور على طفل هذه المرحلة ويطلب منه وصفها، فإنه يشير للعلاقات المكانية والحركات والألوان الموجودة فيها، ويمكنه في نهاية هذه المرحلة إدراك الأشياء المتشابهة، مثل الحروف الهجائية كما يدرك الاختلافات بينها، ويستطيع معرفة الأمكنة والاتجاهات مثل إدراك الموقع بالنسبة للشرق والغرب أو الشمال والجنوب، وكذلك القرب والبعد، فعند ابن السادسة يكون هذا الإدراك بطيئا وينمو مع تقدم السن، وفي سن الثامنة يصبح قادرا على التمييز في تحديد الاتجاه والموقع، وهذه كلها جزء من خصائص نهاية مرحلة ما قبل العمليات وبداية مرحلة العمليات المادية كما أطلق عليها بياجيه (معوض، خليل ميخائيل ١٩٨٠-١٩٨٣: ١٩٨).

الخصائص الانفعالية – الطفولة المتوسطة

إن ما يميز سنوات مرحلتي الطفولة المتوسطة والمتأخرة هو أنها تأتي بين مرحلتين حساستين، السابقة لها، وهي مرحلة الطفولة المبكرة والتي تتميز بسرعة الانفعال وسرعة التقلب الوجداني القوي، والأخيرة هي مرحلة المراهقة وما يعترىها من ثورات انفعالية، لذلك يطلق علماء النفس على هذه السنوات أنها مرحلة الكمون والثبات والاستقرار الانفعالي (باطة، آمال السبيعي ٢٠٠٢: ١٣٠).

ففي مرحلة الطفولة المتوسطة تتسم شخصية الطفل بالهدوء والاتزان وتكون انفعالاته أقل حدة، ويكون أكثر واقعية في رغباته، كما يقل صراعه النفسي تجاه الوالدين ويتخلص من ازدواجية العواطف (الحب والكره في نفس الوقت)، بمعنى أن كل شيء يتعرف عليه الطفل يحدد موقفه تجاهه بأحد الأمرين، إما أن يحبه أو يكرهه، ينجذب إليه أو ينفر منه، وكلما تطور في النمو تزداد سيطرة الطفل على انفعالاته، وهو بذلك يسير نحو الاستقرار الانفعالي (Emotional Stability) (الهنداوي، علي فاضل ٢٠٠٥: ٢٢١؛ سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٦٥).

ومن المظاهر التي تطرأ عليه مقارنة بالمرحلة السابقة أنه قد أصبح أقل عدواناً وأقل ميلاً إلى التخريب، وفي حالة الخوف لا يبدو عليه اصفرار الوجه بدرجة ملحوظة، كما أنه أصبح أكثر مقدرة على إخفاء مظاهر الغيرة بأعراضها البدائية الأولى، وتركز انفعالاته حول موضوع معين، وهي الأم التي تتعلق بها ويحب كل ما يتصل بها، وتتسم انفعالاته بالهدوء النسبي، وفي المدرسة التي يكون قد بدأ فيها تقل لديه الثورات النفسية والتوترات الانفعالية، وفي المدرسة يتعلم الطفل نوعاً من الانضباط والحد من مظاهر الغضب، ويتكلف الشجاعة في مواجهة أمور قد يخافها إذا ما واجهته في المنزل، كما أنه في المدرسة يخفي مظاهر الغيرة إذا ما انتابته، ويقارن الطفل نفسه مع غيره من التلاميذ، ويقلدهم في التعبير عن

انفعالاتهم المختلفة، وهذا التقليد يساعده على الاعتدال، وعدم التطرف في الانفعال، وهكذا ينتقل الطفل إلى طفولة هادئة وادعة مطمئنة (الهنداوي، علي فاضل ٢٠٠٥: ٢٢١).

وعادة ما تتوجه عواطف الطفل في هذه المرحلة إلى أقرانه: أبناء الجيران أو إلى زملائه في المدرسة، وينعكس ذلك على انفعالاته فيكتسب قدرا من الانسجام والهدوء، فتجده أقل حرصا على الملذات العاجلة، كما أنه يكتسب الكثير من العادات والأفكار التي تنم عن التوافق والانسجام مع التقيد والخضوع للسلطة واحترام رأي الآخرين، ويتأثر النمو الانفعالي عند طفل هذه المرحلة بعملية النضج والتعلم، اللتين تتداخلان في تأثيرهما على نمو الانفعالات، مما يجعل تحديد الأهمية النسبية لأي منهما على حدة في غاية الصعوبة، إلا أنه يمكن القول بأن التعلم أكثر أهمية وذلك لأنه بالإمكان السيطرة عليه، بواسطة التدريب والتوجيه مباشرة، ومن خلال تنظيم البيئة لضمان تكوين الأنماط الانفعالية المرغوبة لدى الطفل (نفس المرجع ص ٢٢٢-٢٢٣).

الخصائص الاجتماعية - الطفولة المتوسطة

في مرحلة الطفولة المتوسطة إلى جانب البيئة الأسرية تتسع البيئة الاجتماعية لطفل هذه المرحلة لتشمل البيئة المدرسية أيضا، وفيها يكتسب الطفل خبرات جديدة حيث يتدرب على تكوين علاقات اجتماعية متنوعة، ويتم فيها التفاعل الاجتماعي مع أفراد آخرين تختلف عن تلك التي يتفاعل فيها مع أسرته، وفي هذه البيئة الجديدة يتدرب الطفل على الأخذ والعطاء والتنافس والتعاون والكفاح والمثابرة، فالمدرسة هي البيئة التي يمكن للطفل أن يمارس بها جميع أنواع المنافسات، كما يمكنه اكتساب خبرات متنوعة، ويمارس فيها الهوايات، وينمي الميول ويتدرب على الحقوق والواجبات، والمدرسة أيضا هي المكان الذي

يتلقى فيه العلوم ويكتسب الخبرات المدرسية، وهي بالإضافة إلى كل ذلك معمل اجتماعي يساهم في تشكيل وبناء شخصية الطفل وتربيته، وذلك بوسائل متعددة من خلال ممارسة نشاطات متعددة مثل الرياضة والنشاط الاجتماعي والثقافي والفني (الهنداوي، علي فاضل ٢٢٦:٢٠٠٥).

وتعتبر النشاطات الاجتماعية المدرسية بالنسبة للطفل أكثر فائدة من النشاطات المنزلية، لكونها أكثر خضوعاً لتطور المجتمع الخارجي وأكثر ثباتاً واتساعاً، لذلك تترك أثراً قوياً في اتجاهات الطفل وعاداته وعلى سلوكه الاجتماعي، كما أنها تمثل قاطرة العبور بالنسبة له من عالمه الأسري إلى عالمه الخارجي، وبدخول الطفل المدرسة يقل اعتماده على والديه وتنمو ذاتيته نتيجة استقلاله ونتيجة مقدرته على القيام بالكثير من الأمور التي كان أفراد الأسرة يقدمونها له (الهنداوي، علي فاضل ٢٢٧:٢٠٠٥).

وتشكل مرحلة الطفولة المتوسطة مرحلة التعرف على الذات بأبعادها الجديدة بالنسبة للطفل، ويقوى عنده الشعور بالهوية في السن من السادسة حتى الثانية عشرة، ويبدأ يتعرف على الرفاق companion ويمثلهم فتتوه عنه هويته حينئذ. وفي هذه السن يكون أكثر واقعية ومحباً للاستطلاع، وتكون لديه الذات العاقلة rational-self وتكون وظيفتها تنظيم نشاطاته وعلاقاته وتجنبيه المشكلات (الحفني، عبد المنعم ٤٨٥:٢٠٠٣).

وفي هذه المرحلة أيضاً ينتقي الطفل أصدقاءه الذين عادة ما يتحيز لهم، وقد يكون من بينهم صديق يفضل على غيره وتكون لعلاقته قدر من الثبات يتفاوت شدة وضعفاً، كما يمكن أن يكون له أيضاً عدو شبه دائم، وفي الجزء الأخير من هذه المرحلة العمرية يحب الأطفال الألعاب المنظمة في جماعات صغيرة، وكثيراً ما تنشأ بينهم المشاحنات ويتكرر استخدام الكلمات الجارحة أكثر من العدوان

الجسمي (عثمان، إبراهيم ١٢٨: ٢٠٠٦). وعادة ما تحدث بين الطفل ورفاقه منافسة تبدأ فردية ثم تتحول في نهاية المرحلة إلى منافسة جماعية خاصة في الألعاب الرياضية والتحصيل المدرسي، وبطبيعة الحال فإن التنافس قد يؤدي إلى صراع من جانب الأفراد بعضهم ضد بعض.

أما التعاون فيحقق تفاهم الأفراد وسعيهم نحو تحقيق هدف مشترك (صباحي، سيد ١٩٨٦).

الطفولة المتأخرة Late Childhood

وتمتد هذه الفترة من نهاية سن التاسعة حتى نهاية سن الثانية عشرة، وتشترك إلى حد كبير في الخصائص مع المرحلة السابقة.

الخصائص الجسمية والفسولوجية للطفولة المتأخرة

في بدء مرحلة الطفولة المتأخرة يتسم النمو الجسمي بالبطء في الطول والوزن ونسب أجزاء الجسم المختلفة، حتى يصل الطفل إلى نهاية هذه المرحلة وتبدأ فترة البلوغ، إذ تحدث طفرة في النمو، فتتعدل النسب الجسمية لتصبح قريبة مما ستكون عليه في مرحلة الرشد، ويبلغ معدل زيادة الطول السنوي من ٤ إلى ٥٪، حيث يصل طول الذكور في سن التاسعة (١٢٦.٩) سنتيمترا تقريبا، بينما يبلغ طول الإناث في نفس السن حوالي (١٢٦.٤) سنتيمترا، وفي عمر عشرة أعوام يبلغ طول الذكور حوالي (١٣١.٣) سنتيمترا، بينما يبلغ الطول لدى الإناث (١٣٠.٧) سنتيمترا، وفي عمر الحادية عشر يبلغ طول الذكور حوالي (١٣٥.١) سنتيمترا، وبينما يبلغ عند الإناث حوالي (١٣٥.٦) سنتيمترا. ونلاحظ في هذه السنة من العمر تفوق الإناث على الذكور في الطول، وذلك نظرا لاقترابهن لسن البلوغ الذي تصل إليه الإناث على الأقل خلال عام أو عامين قبل الذكور، بعد هذه الفترة يعود الذكور ليتساووا مع الإناث في بدء مرحلة المراهقة ثم يتفوقون عليهن ويستمر هذا

التفوق بقية المراحل في الحياة (الهنداوي، علي فالح ٢٤٨: ٢٠٠٥). إن هذه الزيادة المفاجئة في الطول التي حدثت في سن الحادية عشرة - وخاصة عند الإناث - يصاحبها زيادة في الوزن تتفوق فيه أيضا الإناث على الذكور ممن هم في نفس السن (عثمان، إبراهيم ١٣٩: ٢٠٠٦).

وفي سن الثانية عشرة يبلغ طول الطفل الذكر حوالي ١٤٥ سم، بنسبة ٨٦٪ من طوله النهائي، ويزن حوالي ٤٣ كيلو غرامًا، بينما يصل طول البنت في نفس السن حوالي ١٤٧ سم أي بنسبة ٩٣٪ تقريبًا من طولها النهائي، وتزن حوالي ٤٥ كغرام. ويعزى تفوق البنت في الطول والوزن نسبة إلى الولد، إلى البلوغ المبكر للبنت مقارنة بالولد. ويستمر هذا التفوق للبنات على الذكور في الطول والوزن حتى سن الرابعة عشرة تقريبًا، ثم يعود الأولاد مرة ثانية ليتفوقوا على البنات في الطول والوزن (الزعبي، أحمد محمد ١٣٢: ٢٠٠٧).

وإن أظهرت بداية هذه المرحلة زيادة النشاط الحركي عند الطفل، إلا أن ذلك يحدث بغير عشوائية أو إفراط، فإن طفل هذه المرحلة تنهذب حركاته، ويقل مستوى التعب لديه، كما تنمو قدرته على ضبط حركة العضلات ويكتسب قدرة على التآزر الحسي - الحركي، ونتيجة لهذه القدرات يتقن مهارات جديدة، يساعده على ذلك التحاقه بالمدرسة حيث يتعلم الكتابة والقراءة والرسم والرياضة وغيرها (المصري، سلمى ٢٠٤: ٢٠١٠).

ولأن نمو المهارات العضلية يكون قد بدأ في سن الثامنة، فإن الحاسة العضلية تعتبر عاملاً مهماً من عوامل المهارة اليدوية والدقة العملية، لذلك فإن طفل الثانية عشرة يستطيع الكتابة لمدة طويلة، بالإضافة إلى إمكانية ممارسته أنواعاً من الأنشطة التي تتطلب دقة الحركة كالرسم والعزف والأشغال اليدوية (نفس المرجع ونفس الصفحة).

ويتفوق النمو العضلي عند الذكور في سن الحادية عشرة عما هو عليه عند الإناث من نفس العمر، ولربما يعود ذلك لكثرة الحركات العنيفة التي يتصف بها عادة الذكور في هذه المرحلة والتي ربما تكون تعبيرهم عن الاعتزاز بالقدرات العضلية، بينما يعزى زيادة الوزن عند الإناث إلى تراكم الدهون في مناطق مختلفة من الجسم، حيث تشكل هذه السنة العمرية فترة حرجة تتميز بنمو الخلايا الدهنية وترسب الشحوم حول الحوض، ويجعل ذلك البنت هادئة في حركاتها، أكثر من أية فترة من حياتها (الهنداوي، علي فالج ٢٠٠٥: ٢٤٩).

وفي هذه المرحلة يزداد نمو العظام بسبب ترسبات الأملاح المعدنية وخاصة الكالسيوم، ويتمتع الطفل في سن الحادية عشرة بعظام قوية لكنها أسهل للكسر عن عظام ابن السادسة من العمر، كما يتتابع ظهور الأسنان الدائمة، إذ يبلغ عددها عند الطفل من ١٤ إلى ١٦ (نفس المرجع ونفس الصفحة)، وهنا تكون الأسنان الثابتة للطفل قد اكتملت (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣: ١٢٦)،

وعادة ما يتمتع أطفال هذه المرحلة بصحة جيدة مقارنة بالمراحل السابقة من العمر، فهم نادرا ما يتعرضون للأمراض، كما أنه يقاومون المرض بدرجة ملحوظة، وكلما كبر الطفل تقل إصابته بالأمراض عدا بعض الأمراض المعدية، ولكن بدرجة أقل مما يصاب به أطفال مرحلة الطفولة الوسطى (الهنداوي، علي فالج ٢٠٠٥: ٢٤٩).

الخصائص العقلية - الطفولة المتأخرة

تمثل هذه المرحلة اتساع أفق مدارك الطفل، وفيها تزداد فرصة الاحتكاك بالعالم الخارجي، وتتضاعف المثيرات التي تستحوذ على اهتمامه، فتكسبه القدرة على التفاعل والاطلاع، حيث يجد ذلك له صدى على نموه الإدراكي، وأكثر ما يميز طفل هذه المرحلة هو قدرته على التفكير المنطقي في كل ما يواجهه من

مشكلات، إلا أن هذه المقدرة على التفكير المنطقي التي تظهر واضحة في هذه المرحلة لا تحدث فجأة، بل تكون قد بدأت في مراحل الطفولة السابقة ثم نمت تدريجياً مع تقدم العمر حتى تكتمل فصولها في نهاية الطفولة المتأخرة (المصري، سلمى ٢٠١٠: ٢١١).

ولما لها من هذا التأثير الواضح على التفكير، فإن هذه المرحلة تمثل نقطة تحول في حياة الطفل الذهنية والاجتماعية (عبد الله، عادل ١٩٩١: ٧٤)، ويصاحب ذلك نمو في الذكاء وتزداد القدرة على التركيز والانتباه، وعادة ما يعتمد تفكير طفل هذه المرحلة على الذاكرة البصرية، وكلما اقترب من سن المراهقة ضعف لديه التصور البصري لتحل محله الألفاظ والكلمات، ونتيجة للتقدم العقلي لديه ينتقل الطفل من حالة الوهم التي كانت تميزه في مراحل طفولته السابقة إلى الحالة الإبداعية وينشغل بالحياة الواقعية فيكون بمقدوره التمييز بين الوهم والواقع (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٢٧٣). كما يصبح بإمكان الطفل في هذه المرحلة إجراء الحوار مع رفاقه، ومناقشتهم وربما إعطاء الأدلة والبراهين ليؤكد وجهة نظره (عبد الله، عادل ١٩٩١: ٧٤).

وفي هذه المرحلة العمرية يستطيع الطفل قراءة وكتابة عدد مكون من ثلاثة أو أربعة أرقام، ويدرك أن الأعداد تعبر عن الكم ويعرف وحدات القياس المختلفة، وكذلك الرموز الرياضية (+، -، ×، ÷) كما يستطيع أن يجمع وي طرح ويضرب ويقسم ثم تتطور قدراته إلى معرفة المفاهيم المتعلقة بالمساحة والحجم والكسور، كما يمكنه استيعاب المفاهيم الرياضية المجردة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤: ٢٧٢).

وبهذا الخصوص يذهب بياجيه إلى أن هذه المرحلة هي مرحلة العمليات العقلية المحسوسة (Concrete operation)، كما يراها بأنها « فعل داخلي يمكن أن

يعود إلى نقطة بدايته، كما يمكنه أن يندمج أو يتوحد مع غيره من الأفعال التي لها نفس الخاصية، هذه العمليات المحسوسة هي أحداث عقلية شديدة التعقيد، وتمثل في العمليات الحسابية كالجمع والطرح والتصنيف أو الترتيب المتسلسل، إلخ. فكل هذه العمليات محسوسة ومرتبطة بخبرات الطفل (عبد الله، عادل ١٩٩١: ٧٤).

ومن الأمور المهمة أيضا أن الطفل في هذه المرحلة يمتلك الوعي في التفريق بين الصبح والخطأ، ويكون أكثر تمكنا من معرفة قواعد التحكم في سلوكه وخاصة عندما ينبه إلى الأخطاء التي يقوم بها ضد ذاته أو ضد الآخرين (صادق، آمال؛ وأبو حطب فؤاد ٢٠٠٨: ٢٦٠).

الخصائص الانفعالية - الطفولة المتأخرة

بعد أن مر الطفل بالخبرات الانفعالية العديدة في المراحل السابقة، تأتي هذه المرحلة لتكشف ما يتميز به الطفل من ثبوت واستقرار انفعالي، لذلك عرفت هذه المرحلة على أنها «مرحلة الطفولة الهادئة». لكن يجب ألا يفهم ذلك على أن الطفل لا يفرح ولا يغضب ولا يعتدي على غيره ولا يبكي، وإنما في هذه المرحلة يستطيع الطفل إخفاء انفعالات معينة، وتختلف كذلك وسيلة التعبير عن هذه الانفعالات عن المرحل السابقة، وكأن هذه المرحلة تشكل مرحلة هضم وتمثيل للخبرات الانفعالية التي مر بها الطفل في مراحلها السابقة، وفي نفس الوقت هي بمثابة إعداد أو إرهاب للنشاط الانفعالي العنيف الذي سيأخذ مجراه في نفسية الطفل في المرحلة التالية، فمرحلة الطفولة المتأخرة مرحلة الانتقال بين مرحلتين الطفولة السابقة والمراهقة، وكلتا المرحلتين تتميزان بعنف الانفعال وقوته، مما يميز النشاط الانفعالي لهذه المرحلة بالهدوء النسبي، حيث يحاول الطفل كسب السيطرة على نفسه، فهو لا يسمح لانفعالاته أن تفلت منه، وحتى إذا غضب فإنه

لن يعتدي على مثير الغضب اعتداءً ماديًا، بل غالبًا ما يكون اعتداءً لفظيًا، وبصورة سباب أو تهكم أو مقاطعة وما شابه ذلك . كما يتصف طفل هذه المرحلة بالميل للمرح، ويحب النكت اللطيفة، ويتوق للشعور بالأمن والطمأنينة، ويحب النجاح فيما يقوم به من مهام، كما يسعده أن ينال تقدير الآخرين له وخاصة الكبار الذين يتوقع منهم التشجيع في مختلف المناسبات، وأن يعطى شيئًا من المسؤولية حتى يجد فرصة لإثبات ذاته، ولذلك نجد الطفل في هذه المرحلة يبذل جهدًا في كبح رغباته المتعارضة مع المجتمع الخارجي وفي تحديد أغراضه حتى تتضح للجميع، لينال رضا من هم حوله من الكبار والصغار، والطفل في هذه المرحلة يحب أن يسيطر على انفعالاته ليشعر من هم حوله بأنه أصبح كبيرًا وأنه تخلص من طفولته، وهنا يجب على الكبار مساعدته على تحقيق السيطرة على انفعالاته والتحكم في نفسه، خاصة وأن اللغة قد نمت لديه، وبواسطتها يمكنه التعبير عن جميع احتياجاته ورغباته، ويتخلص من انفعالاته الطفولية السابقة (الهنداوي، علي فاضل ٢٥٣ : ٢٠٠٥).

ورغم تمثل النمو الانفعالي في هذه المرحلة لدى الطفل بغياب ثورات الغضب والغيرة التي اتسمت بها المرحلة السابقة وتميزها بسيطرته على الانفعالات والميل الواضح للهدوء الانفعالي دون أن يبلغ ذلك مرحلة النضج، فإن الطفل تستمر لديه قابلية للاستثارة الانفعالية كما تتباه في بعض الأحيان بمظاهر العناد والتحدي وكذلك الغيرة، وقد تبين أيضًا أن طفل هذه المرحلة تساوره بعض المخاوف الواقعية، كالخوف من الفشل الدراسي والإحباط والخوف على مكانته الاجتماعية وتقبل الآخرين له (المصري، سلمى ٢٠٩ : ٢٠١٠).

ولذلك يصف علماء مدرسة التحليل النفسي مرحلة الطفولة المتأخرة بأنها «مرحلة الكمون»، حيث تتميز بالثبات والاستقرار الانفعالي، ويمكن أن يقال عنها

بأنها مرحلة إعداد للنشاط الانفعالي العنيف الذي يمهد لمرحلة المراهقة التي تلي مرحلة الطفولة المتأخرة، ويميل الابن في فترة من فترات هذه المرحلة إلى السيطرة على انفعالاته؛ لأنه لا يريد أن يبدو أمام الآخرين أنه مازال طفلاً، ويتمنى أن ينجح في عمله لكي يقدر من حوله من الكبار هذا النجاح ويسعى لنيل بعض المسؤوليات ويجعل ذلك فرصة لإثبات ذاته (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٧٤:٢٠٠٤).

لذلك طبقاً لنظرية إريكسون فإن مرحلة الطفولة المتأخرة تسمى «مرحلة الاجتهاد مقابل الإحساس بالنقص» (Sense of Mastery vs. Inferiority)، فيها يوجه الابن نشاطاً متزايداً بهدف تحديد مكانته ويبدل كل جهد ممكن في الإنتاج والعمل خشية من أن يكون هذا الإنتاج وهذا العمل دون مستوى نظرائه الآخرين، وهكذا ينشأ الإحساس بالجهد مقابل الإحساس بالنقص (عبد المعطي، حسن ٣٨:٢٠٠٤).

لذلك يطلق أحياناً على هذه المرحلة اسم مرحلة «المدح والذم» ففيها يكون الطفل قد وعى لذاته، وتشكل لديه فهم كاف عن مقومات المجتمع، ونجده يتأثر بانفعالاته وسلوكه بما يلقاه من الوالدين والأسرة من مدح أو ذم، فهو مستقل جسيماً وحركياً، وقطع شوطاً من الاختلاط في المدرسة، وله أصدقاء خارج الأسرة، وأصبح تعلقه بالأسرة جسيماً ونفسياً لتحقيق ذاته، وطبيعي أن يصبح المدح والذم وسيلة معنوية لها أثرها في التحكم في انفعالاته وتكوين عاداته، خاصة أنه يسعى لإرضاء والديه، ويخشى غضبهم، فمدحه يشعره بالافتخار والزهو والرضا عن نفسه، والذم يؤدي به إلى الاحراج ويحاول أن يدافع عن نفسه، وقد يبتعد عن المنزل لفترة ويعود محاولاً تقديم الاعتذار. وفي هذه المرحلة أيضاً تنمو لدى الطفل الاتجاهات الوجدانية، وتقل مظاهر الثورة الخارجية، ويتعلم

كيف يتنازل عن رغباته العاجلة التي تغضب والديه، وإذا ما غضب فإنه يلجأ إلى المقاومة السلبية والتمتمة بألفاظ غير واضحة، وظهور تعبيرات الغضب على وجهه، ويعبر عن الغيرة بالوشاية على الشخص الذي يغار منه، وإذا ما واجه مواقف الإحباط فإنه قد يلجأ إلى أحلام اليقظة ويستغرق فيها، وينمو الأنا الأعلى والضمير (الهنداوي، علي فاضل ٢٥٤ : ٢٠٠٥).

الخصائص الاجتماعية – مرحلة الطفولة المتأخرة

تتبلور عملية التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المتأخرة، ويزداد احتكاك الصغير بالكبار فيكتسب المزيد من الخبرة التي تتعلق بالقيم والمعايير والاتجاهات الديمقراطية والضمير ومعاني الخطأ والصواب والاهتمام بتقييم السلوك الخلقي، فيتابع الذكر ما يجري في وسط الشباب والرجال بينما تتابع الأنثى ما يدور في وسط الفتيات والنساء (زهران، حامد ٢٨٦ : ٢٠٠٥).

ويتوحد الطفل مع «الدور الجنسي» Sex Role، أي تبني دور شخصية من نفس الجنس فيكتسب الذكر صفات الذكورة وتكتسب الأنثى صفات الأنوثة، وجدير بالذكر أن هذا الترميز الجنسي Sex-Typing يبدأ مبكراً في حياة الطفل وذلك بالتوحد مع شخصية الأب بالنسبة للابن أو مع شخصية الأم بالنسبة للبت، ويتمشى مع ذلك اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام، فيهتم الذكور بالنشاط التنافسي، مثل: الألعاب الرياضية وألعاب السيارات وركوب الدراجة، بينما تهتم الإناث بالحياكة والأشغال اليدوية والفنية وأعمال المنزل ورعاية الأطفال الأصغر منهن سناً (زهران، حامد ٢٨٧ : ٢٠٠٥).

وفي بداية هذه الفترة يبدأ الطفل في التغلب ولو بشكل مؤقت على العقدة الأوديبية التي تحدثنا عنها في فصل سابق، فتبدأ علاقاته تقترب من المستوى

الواقعي من الاعتمادية، بالرغم من أن الاعتماد على الوالدين مازال أمراً ضرورياً في هذه الفترة من العمر، فبينما كان الطفل في فترات سابقة أكثر ميلاً للتقرب من والديه أصبح في هذه المرحلة يفضل الانفصال عن حياته الأسرية التي تعود عليها. وبعد أن كان يقتصر على اتخاذ والديه كممثلين للمجتمع الذي يعيش فيه، فإنه الآن يتجه ليتخذ غيرهما ليمثلوا هذا المجتمع، فقد أصبح ليس بمقدور الوالدين توفير الوقت الكافي لتحقيق كل متطلبات الأبناء في هذه المرحلة العمرية، لذلك نرى أن دائرته تتسع لتشمل الكبار فيولي أصدقاء والديه ومعلميه وآباء أصدقائه أهمية خاصة، كما يبحث عن البالغين آخرين لتحقيق ذاته معهم (عبد المعطي، حسن ٢٠٠٤: ٤٢).

ويرى حامد زهران أنه في هذه المرحلة يزداد تأثير جماعة الرفاق على الصغير، ويشد التفاعل الاجتماعي بينه وبينهم، ويسود التعاون والتنافس والولاء والتماسك، وكلما تزايد تأثير الجماعة تناقص تأثير الوالدين، وتتحول الميول والنشاطات الطفولية إلى الشعور بالاستقلال والميل إلى الخصوصية والتفرد (زهران، حامد ٢٠٠٥: ٢٨٦).

ويمثل الأصدقاء أهمية خاصة لدى الطفل فهم يشكلون المعيار الذي يقيس عليه نجاحه أو فشله، كما يجد الطفل في البعض منهم مصدراً لتحقيق الذات خارج الأسرة، ومن جهة أخرى، ورغم كل ذلك ورغم رغبة الابن في التعاون والمشاركة مع أقرانه، فإنه يحاول التميز عنهم في كل النشاطات مثل: الإجابات في الفصل والنشاطات الرياضية وغيرها (عبد المعطي، حسن ٢٠٠٤: ٤١).

وفي هذه المرحلة أيضاً تظهر عند الطفل بعض علامات الزعامة، التي يحاول إبرازها من خلال جماعات الرفاق ويكون التفاعل الاجتماعي مع الأقران على درجة عالية من الشدة ويشعر الطفل بفرديته، وفردية غيره من الناس، إلى جانب

ازدياد شعوره بالمسؤولية والقدرة على الضبط الذاتي للسلوك، ومن ثم يتحول السلوك الطفلي من سلوك اتكالي يعتمد على الغير إلى سلوك استقلالي يتميز بالحرية والمبادأة، ويلاحظ في هذه المرحلة أيضا أن الطفل يبدأ عملية التنميط الجنسي، ويقصد به تبني الدور الجنسي الذي يجعله يتوحد مع شخصية نفس الجنس، واكتساب صفات الذكورة بالنسبة للآولاد والأنوثة بالنسبة للبنات - ويتضمن هذا التنميط اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام. فمثلا نجد الأولاد يتجهون إلى أن يصبحوا أكثر خشونة واستقلالا ومنافسة من البنات اللاتي يتجهن إلى أن يصبحن أكثر رقة وشفقة وتعاوننا من الأولاد (صبحي، سيد ٦١:١٩٨٦).

وفي هذه المرحلة يحتاج الأطفال إلى أن يتقبلوا ذواتهم وأن ينموا لديهم مفهوم الذات الإيجابي، وكذلك تنمية احترام الذات، وعلى الأهل والمربين أن يعوا الدور الكبير والخطير في نمو مفهوم الذات لدى الطفل، وذلك بالحرص على إعطاء خبرات مناسبة وملائمة للنمو السوي للذات، إذ إن تنمية مفهوم صحي للذات يحتاج إلى إشباع الاحتياجات الأساسية للأطفال (المطوع، روضة ٦٦:١٩٩٨).

